

علي محمود خضيّر
العالم يستيقظ
سلسلة الشعرية
الغاوون
2010

الحالم يستيقظ

علي محمود خضيّر

# الحالم يستيقظ



ولد علي محمود خضيّر في بغداد العام 1983. ساهم مع آخرين في تأسيس «نادي الشعر في البصرة» العام 2007. وهذا الديوان هو الأول له.


الطبعة الأولى، 2010

منشورات «الغاوون»





تصميم الغلاف: مايا سالم

لوحة الغلاف: صدّام الجميلي

لبنان، ص. ب: بيروت – الحمرا 113 – 5626

ت: 573886 71 961 +

U.S.A: 17953 Hanna St. Melvindale

MI 48122 - Tel:0013134299194

zeinab@alghaoon.com

www.alghaoon.com




# كـأنْ لا لـيل قـبلـه

كان يشعرُ بالوحشة،
وحشةِ مَن يموت الليلة.
كأنَّ جماعةً من الموتى أو الملائكةِ
ينتظرونه كي يأخذوه معهم
حيثُ لا رجعة أبداً

مرّاتٍ عدَّةً أفلتَ النومُ منه، وظلَّ قلبُهُ يحوم بأرجاءِ البيت
كعصفورٍ أضاعَ سبيلَه، ليدخل غرفةً بالصدفة.

الفِراشُ سجَّادةُ أشواكٍ باردةٍ، مُهِّدَتْ بعناية.

كلُّ خطوةٍ يمشيها في الممرّاتِ تستعجلهُ ليُسرعَ أكثر
أيّ مسافة تكفي لردم هذا الوحشِ وإسكاتِ فحيحه؟

كان يشعرُ بوحشةِ مَن يموتُ الليلة،
وكان الليلُ ثقيلاً كسرٍّ قديم
يُلِّحُ بأسئلةٍ لا جوابَ عليها،
بأهوالِ جماعةٍ ينتظرون ولا يتكلّمون
لا يُصدِرون ضجَّةً كأنهم بلا أقدامٍ أو صفات.

كأن الليلَ مُلْكُ مزاجهم الملتبس،
ليلَ الوحشة.

ومن يدري أنَّ لرعبهِ أبواباً لا تُفتَح
ومصابيحَ مهشَّمة
وسكاكينَ حادّةً وغيرَ مرئية؟
من يدري أنَّ لألمه لغةً بلا لسان
أو لساناً منعقداً أَو مشلولاً؟
من يدري أنَّ وحشتَه تتكرَّر
وتمتدُّ وتعلو وتتمطّى،
وتمشي داخلَ رأسه وبين قمصانه المشرَّبة بالرِّعدة؛
أنَّ ألوانَه تتبدَّل وأنَّ المسافات تختلطُ عليه
أنَّ الأسرَّة تقضُّه بأشواكٍ جافّة،
أنَّ الليلَ سرُّهُ النازفُ والنهارَ رهانُهُ الأقلّ أماناً.
...
لا أحد.

كانت الوحشةُ مستمرَّةً وغيرَ نهائية
كانت تفتحُ في جسدهِ ثقوباً تتأجَّج بثقوبٍ متأجِّجة
وتحيلُ الجدرانَ ألواحَ صَلْبٍ والشبابيكَ مقاصلَ رطبة

ليلٌ عاطلٌ
كأنْ لا ليلَ قبلهُ
كأنَّ ساعاتِه موصولةٌ بسلسلةٍ من الساعاتِ لا تنتهي إلا في الجحيم
كأنَّ الجحيمَ استضافتهُ هذه الليلة باكراً؛
ربّما السماء نَزلَتْ ساحقةً
أو الأرضُ صَعَدتْ تنتفض.

وكان الفجرُ حلماً يصدأ،
كان اشتعالُ الحاضرِ بزيتِ ماضيه وثقابِ أيامِه القادمة
كان الخرقةَ التي يسدُّ بها فَمَ البركان

ومن يدري أن لبركانه آياتٍ في الأزقّة الضيّقة
والبيوتِ الواطئة،
آياتٍ لا مُرتِّلينَ لها ولا مُنصتين
من يدري أنَّ سكونَه كاذبٌ وغشّاش
وأنه يغلي بأمارات مُلغزة:
أمارتهُ الفجرُ يدفعُ عنه تهمةَ الليلِ أو النهار
أمارتهُ أسمالٌ معتَّقةٌ بأشباحِ الغائبينَ ومصابيحِهمُ المظلمة؛
يدٌ ترجفُ الحقيقةَ وتتنصّلُ منها؛
عينٌ تسكبُ كوابيسَها دفعةً واحدة.
...

لا أحد.

ومن لهُ بعدَ كلِّ ذلك
من للمستوحِشِ في ليلته الأخيرة
غير ملائكةٍ أو موتى
ينتظرون...

# خيارٌ خاسر

حدَّثتُكَ مرَّةً:
كلُّ ليلةٍ تصلحُ أن تكونَ الأخيرةَ وكلُّ نهارٍ يحملُ بقلبه بذرةَ العدم

أحسبُ أنَّ في رأسي يتجادلُ مَلَكانِ، لا يملاَّنِ حساب المرّاتِ التي أدرتُ ظهري فيها لرسائلِ الليلِ والنهار
أحسبُ أنهما تعبا كثيراً معي فتركاني هائماً في دروبٍ لا تستحي.
أحسبُ أنَّ نهاراتي القادمةَ أقلُّ حظّاً.
وأني خسرتُ بياضي بانتظارِ سوادِك.
وأنَّ ذنوبي لا تغفرُها رحمتُك.

كم حدَّثتُكَ بعدَها عن أجنحتي التي لا تخفق؟
عن حقائقَ خذلَتنا وإشاعاتٍ صادقة
عن ذكرياتٍ تُطلقُ وحوشَها على أيامنا العارية.

أحسبُ أنكَ مللتَ حديثي لكنكَ تكتمُ:
مللتَ الحكايا أفرشُها مخافةَ أن تُنسى
وأُطلق أنفاسَها لئلا تصدأ
مللتَ السُّبُلَ نبذلُ فيها أعمارَنا المحدَّبة، ولا تَعرفُنا

مللتَ الصوائح
بلسانها الألثغ وصوتها الرديء
مللتَ، لكنكَ تكتم.

قلت:
من يعبأُ لأجنحةٍ مسحوقة لا تخفق؟
من يبادل حصىً تغرق بطرقاتٍ ملؤُها نشوةٌ مبتورةٌ
من يعاند كلَّ هذه الجماجمِ بأسنانٍ أبديةٍ تضحك
من يضاربُ بأقدارِنا المصقولةِ بعنايةٍ فائقة
من ينادمُ الطمأنينة، يستدرجُها،
متجرِّعاً وخزَ فظاظتِها ودناءته؟
من يعاقبُ إحباطَنا بشواطئَ لا تمرض؟

حدَّثتُكَ، ذاتَ غَوْر:
لا ملاذ لمن رأى الشمسَ تخفقُ مشنوقةً بحبلِ العاصفة
لا ملاذ لمن أرجأ خَلاصَهُ برميةِ زهر
لا ملاذ لمن بدَّدَ بأسَهُ في بهتانِ خلوده
لا ملاذ لي وأنا أُعدِّد ملاذاتِهمُ الخاسرة!

قلت:
«إنْ كنتَ خائفاً من المنعطفِ القادم،
فأغمضْ عينَيك
وأقبلْ عليه، دونَ اكتراث
هكذا ستغيضُ الريحَ بسخريةٍ بسيطة
وقليلٍ من الشجاعةِ الممكنة».

وقلت أيضاً:
كم ثعباناً في قميصكَ أيها القدر؟
كم سكّيناً خلفَ ظهرك أيها الغد؟
كم قبراً مخبوءاً فيكَ أيها الميت؟

أقوالٌ كثيرةٌ وأحاديث
أحاديثُ ما كانَ لها أن تنتهي
طالما عذّبت الملَكَيْنِ وهما يعدّان رسائل الليلِ والنهارِ التي أدرتُ لها ظهري
تَعِبَا،
وتركاني هائماً في دروب لا تستحي
فهل سترحلُ أنت أيضاً؟
– ...

# وسـواس...

لا معنى لهذا الوسواسِ غيرُ احتراقِ اليابسِ والأخضر من شجرةِ العمر.
كما تُقبِلُ على بيوتٍ متشابهةٍ فتتداخلُ عليكَ أبوابُها وروائحُ ساكنيها
وأيُّ معنىً لاختلاسكَ لحظةً استرخاءٍ بين ساعاتٍ طوال وأنتَ تصكُّ على أسنانكَ ورأسكَ.
أيُّ معنىً من انتظارِ موت قادم لا محالة.
من اكتشافِ أن يدكَ لا تُعينكَ على كتابةِ سطرٍ واحد.
أو، من اشتياقٍ لا يُفضي إلا لوخزةٍ باردةٍ أيسرَ صدرِكَ.

ومُذ كان الموتُ ديناصوراً لا يطلعُ إلا من كتبٍ بأغلفةٍ خضراءَ، ويرتمي بهيئةِ تابوتٍ على رصيفٍ ضيّق، كنتَ يومها طفلاً كاملَ الجهالةِ وكانَ رُعبُكَ دينارَ ذهبٍ في صرَّةِ بخيل.

وأنتَ، عبدُ الغدِ
نسَّاءُ الأمسِ
كافرُ اللحظةِ

يا من تستدعي أشباحَكَ واحداً بعدَ واحدٍ لتفرشَ بهم ليلَكَ. وتجرُّ غَدَكَ بوسواسِ أمسِكَ. قديمةٌ نُدُوبُكَ وساخنةٌ.

فكابوسُكَ الطفلُ لا زالَ يشربُكَ على عجالةٍ منذُ عشرينَ أو أقلّ،
يشربُكَ ثم يُعيدُكَ إلى الكأسِ نفسها وهو يَضحك.
وخيبتُكَ عينُ أعمى صَدَّقَ بِوعدِ ظلمةٍ أسرَّتهُ بفرارِها فأَمِن، ليفتحَ
عينَهُ على ظلمة.
كخيبة طفلٍ يلهو بطينٍ لن يصير تمثالاً مهما دَعَكهُ وتمنَّى.
قديمةٌ نُدُوبُكَ وساخنةٌ.

وأنتَ، قفّاءُ آثارِ الغائبين
الراحلون إلى الهناك
لا فيء في قوادم أيامكَ
فلا تهدرْ منَ الهنَا الكثير
وتَوَقَّ.

أما رعبُكَ فحياتُكَ.
توأما حزنٍ لن يفترقا حتى يعبرا الممرَّ الأخيرَ.
وأمّا أنتَ فحيرةُ طفل أمامَ بيوت متشابهة،
شجرةٌ كسلانةٌ يحترقُ فيها اليابسُ والأخضر
وتعبثُ الريحُ بثقوبها دون معنى.

# مشقّة أن تعرف

إلى زحل

البارحة
حينما خرجتُ من جسدي سالماً، رأيتُكِ تركضينَ برداءٍ أسودَ ودمعةٍ أخيرة. كانَ الليلُ وقتَها على أتمِّ سوادِه والريحُ خلفكِ تنبح.

البارحة عند اكتمال الأسى. على حافّة جرحٍ نبيلٍ يبدأ، كنت تُهدرين الليلَ دمعةً بعد دمعة. تُبالغينَ سَترَ أَنَّتكِ حيثُ الأنينُ خاتمٌ في أصبعٍ مبتورة.
وكنتُ بينَكِ/حولَكِ/ أثناءَكِ أُسندكِ بالسُّهاد:
ألمٌ كهذا جديرٌ بتلك الدموع.
ومن أجل أن تنسلَّ أشباحُ الوحشةِ تركتُ الشبابيكَ مفتوحةً. وأَنَرتُ المصابيح.
درَّبتُ وجهي على ابتسامةٍ مُقنعة، وصبرٍ واضحِ المعنى، يطولُ مع الليل.
الليلِ الأخير.

سألتك:
كيف أَسلمتِ ظهرَكِ لسكّينٍ صدئة بيد الريح، ونزفتِ عمراً بمسرّاتهِ

زفرةً زفرة.
كيف أبدلتِ أقواسَكِ الملوّنة برمادِ الانتظار؟ وشطرتِ القلبَ كتفّاحة
كيف زاملتِ الثواني الأخيرة
بأيِّ مبالاةٍ درأتِ مرارتها،
وأيَّ اختناقٍ كان؟

سألتكِ:
عن الزفراتِ الصغيرةِ المحرقة،
عن الدموعِ التي لا تُرى،
والمناديلِ التي تسحبينها سرّاً وتخُفينها سرّاً بين طيّات ثوبكِ المطعونِ بالوحشة.
عن ابتساماتٍ زائفةٍ تبرقُ وتختفي، بانتظارِ فجرٍ يأتي بالفاجعةِ ناصعةً وخاطفة.
عن مشقّةِ أن تعرفي، ولا يعرفُ سواكِ أحد.
عن الجمرات، تقبضين عليها وملءُ عينَيكِ التماعةٌ.
...
سألتكِ كثيراً، لكنك لم تُجيبي.
...
هكذا،
ساعةً بعد ساعة،
أنفقتِ سوادَ الليلِ ساهمةً كغصنٍ ينسحقُ بمساميرَ واصدةٍ.

...

...

عند الفجر،
كان جُرحي يُجيد أَلَمَه.

وغداً
لن يراكِ الناسُ إلا أختاً تَنشرُ أختَها على طريقِ المطار.
لكني سأرى
شبحاً يجرُّ جناحَيهِ واهناً،
بينما قطراتُ دمٍ ترسمُ خيطاً يلمعُ بين أضلاعه والتراب.

# تهذيب الألم

ليس من أجلي أنهضُ كلَّ صباحٍ بصوتٍ يتكسَّرُ
وحلمٍ يصدأُ.
ليسً من أجلي أجولُ كلَّ يوم الأرصفةَ ذاتها.
ضاحكاً من كتابةِ ذكرى، مؤَجِّلاً غدي برعبِ يومي.

متوثِّبٌ للنسيان. مخلصٌ للسهو

أسهو عن مخاذلِ العيش
عن الأصدقاءِ وهم يكذبون
عن جثَّةٍ – هي الحقيقةُ – تبلغُها فتموتُ بين يدَيكَ
عن رِعدةٍ تجيء وتنسلُّ دونَ اكتراثِ أحد
عن ظلٍّ زائفٍ وشعوبٍ بآجالٍ ورقيّة
عن الخيانات
عن أطفالٍ يموتونَ قبلَ أن يُدركوا الرمق
وعن شتلةِ المطّاطِ تموتُ في الزاويةِ رغماً عنّي
...

ليس من أجلي
أرصفُ أيامي لأنساها

لأستقبل أُياماً قديمةً، كي أنساها مرّةً بعدَ مرّة
أنا الذي أُريق عمري باحثاً عن عينٍ نظيفةٍ وقلبٍ طفلٍ
عن أجسادٍ من الضوء وملائكة ممكنين
عن جدرانٍ بلا لافتاتٍ ورفقةٍ لا يضعون أقنعةً.

من أجلهم،
الساهون عن الحياةِ بالحياةِ
ناكثو العهود، خبَّازو الأفئدة
أنهضُ كلَّ صباحٍ بصوتٍ يتكسَّر وحلمٍ يصدأ
واضعاً رهاني كَي أخسرَه
أضعهُ وأعلمُ بتصدِّعِ الروحِ وهشاشةِ الشكوى
باللذاتِ التي خسرناها وتلك التي تنتظر
بأرباحِنا المختنقةِ، بأصابعِ القدر

...
ليس من أجلهم
ولا من أجلي
أجلسُ كلَّ مساء
أفكِّر كيف أنَّ أحزانَ الآخرين، دموعَهم وخذلاناتهم المُرَّةَ لا تُعير اكتراثاً لأحد.
ترقُدُ منسيةً ومُهملةً، كإطارٍ على الطريق السريع.

# حتّى تجِدَ خلوتكَ الدافئة...

لن يهمَّكَ...
ستمشي في الشارعِ المكتظِّ وقتَ الغروب
وتحتدمُ بالحشودِ المربكة
الوجوهِ العجولةِ والوجوهِ الحائرة
ستنسى أنكَ نُسيتَ
وتوفِّر دموعكَ قليلاً،
قليلاً حتى تجدَ خلوتَكَ الدافئة

ستقولُ: لماذا؟
تسألُ عن الأسبابِ التي تجعلُ السكاكينَ تَخرقُ صدرك
وتَحزُّ رأسَ الصبر
...
...

لن يهمَّكَ...
أن تبكيَ قليلاً الآن،
فقد هدَّ المساءُ انتظارَك
وخلوتَكَ السراب.

لا يهمُّكَ...
أن تفتحَ الهاتفَ المحمول
كلَّ هنيهة
تطالعُ ثقبَ روحِكَ الهائمة، وتكتم.

لا يهمُّكَ...
أن يراكَ فضوليٌّ عابر،
أن يضحك.
أو أن تعثرَ بعلبِ الكولا الفارغة،
تعثرَ بالصوت.

الآن...
بعد نسيانِكَ، بعدَ البكاءِ القليل، الفضوليّ العابر
والعثراتِ الصغيرة.

هل يهمُّكَ أن تَعرف أنك منسيٌّ أو حاضر؟
هل يهمُّكَ أن تُدركَ فداحةَ أن تبكي،
تدركَ المسافةَ بين الحُلم واليقظة،
تُدركَ الخسارة.

سيمرُّ الوقتُ ثقيلاً أو سريعاً
وستعرفُ أنكَ، وحدَكَ، صديقُ الانتظارِ المرِّ.

## الوحيد بغرفته الواسعة

ليلٌ هانئ
يمرُّ على الوحيد،
بغرفتهِ الشتوية العريضة
موسيقى هادئةٌ تنشرُ هواءً أَخضرَ في الهواء،
ومدفأةٌ في الزاوية...

...
...

ليلٌ هانئٌ يمرُّ
يُعدِّدُ الوحيدُ خطاياهُ، ينساها
يتذكَّرُ دفءَ الحديثِ مع صديقة.

ينسى مواعيدَ دوائهِ
يتذكَّر ساعتَهُ العاطلة

لن يطولَ الوقتُ به
قبل أن يمخرَ السماءَ دويٌّ طائرة.

ينسى قنوات الأخبار
يتذكَّر فيلماً عاطفياً خفيفاً

يفتحُ نافذتَه على سُبُلٍ تتهتَّك
يتذكَّر قطارَ الطفولةِ الخاطف، ينسى إخفاقَه في الحب

يتذكّر مواعظَ رجالِ الدِّين
ينسى أنه لم يُصَلِّ

يتذكّر مشرّدينَ على رصيف، عراةً ومتّسخين
ينسى صداعَ أُمِّهِ النصفيّ

.

.

.

الوحيدُ بملابسهِ القطنيّة الواسعة
لا يتذكّر ولا ينسى

يلتحفُ الفراشَ الخضل
ينامُ بلا أحلام.

# مُثقَلٌ بالغائبين

في المدنِ التي لم أرَها منذُ أمدٍ
المدنِ الموحشةِ كليلٍ مغبرٍّ
المؤلمةِ، كجمرةٍ في كفٍّ طفل
لا أرى ولا أسمع إلا صوت الطفلِ في داخلي
ناقصَ المسرّات، كاملَ الخسارة.
الطفلِ الذي نَسي كيف يبكي
ولا فرقَ في بكائه لدى الآخرين.

لن أتلمَّسَ ندوبَ الممرَّات
الممرَّات الدافئة التي جمعتني
بمن أحبُّ ومن أكرهُ على حدٍّ سواء؛
الندوبَ التي أخذها الماضي وطواها تحت إبطَيه.

لن أرى الشقراءَ
عاليةَ النظرة، خفيفةَ المرور
لن أرى صوتَها
يسدُّ على الجدرانِ شقوقَها الداكنة.

الصِّبيةُ الذين افترشوا طفولتي
أخذوا كلَّ مهاراتِ الفرحِ في قلبي، أقفلوه
وتناهبوا المفتاح.

أمّهاتي الكثيراتُ
فُرِّقنَ في الأمصار
يُباعِد الرملُ بينهنَّ والعتاب
ويحتفلُ الغيابُ بصورهنَّ في رأسي
قد ألقى النحّاتُ على وجوههنَّ سحرَهُ
فشحبتْ شعورُهنّ
وعاشتْ بغضارتِهنَّ الأيام.

الطفلُ الذي في داخلي
تركتُهُ، آخرَ مرَّةٍ، يركضُ على تلٍّ
يفصلُ دجلةَ عن بيوتِ الآمنين باللّه
بينما شمسٌ صافيةُ الضوء
تُربِّي على جبينهِ حبَّاتِ عَرَقٍ كاملةَ المعنى

...
لا زال يركض
ولا زال الحلمُ أخضرَ.

# جوائز الخذلان

I

من أجل مزاراتٍ مضرَّجةٍ بالندى،
يُشعِلونَ قاماتِهم.
كأحضان تشتهي الفجيعة
كسنابلَ تُراودها شهوةُ الاحتراق
...
يتناسلُ في جوفنا عَفَنُ غربةٍ موكَلَةٍ بمُداورةِ أباطيلنا الشاهقةِ وهي تلوحُ بأيامنا كمدين دنيء
يخضرُّ بدروبنا وَجَعُ الأمنياتِ إذ تجسُّ جروحَنا ببساطيرها المالحة

لدفاترنا سخريةُ البياض
لقلوبنا جرمُ السذاجة
لأحذيتنا وفاءُ الثقوب!

أرسمُ على جدرانهم،
نخلةً تحترقُ

وحتّى أتّقي هُزْءَ المزنجراتِ وصياحَ بنادق ملثَّمة
أصمُّ أذني بجمرةٍ سافرة.

...
غائمٌ وجهُ الماء
للافتات السود
تاريخٌ آهِلٌ بالصمت
وللتوابيتِ عطشٌ

على كتفيَّ غبارٌ
تسفوهُ ريحٌ فقدت ذاكرتَها
وهي تلمُّ من النخلِ اعترافَهُ

II

سنواتُ الأسى تركضُ في عروقنا
على جلودنا حفائرُ الغرباء، يجتهدون لينسوها
ونعيش لننسى.

على النوافذ دموعٌ نبيلة
وانتظاراتٌ مُرَّة.

ذاكرةٌ تثقبها صورُ الراحلين
تتمرَّغُ على ضفافِ خيبةٍ آسنة.

أولئك...
مسرَّاتُهُم مؤجَّلةٌ وجاحدة
حدائقُهُم خربةٌ وماؤها حامض
عيونُ أطفالِهم مطفأةٌ كليلٍ أخير

كلَّ ليلةٍ
يعوون في صدري
كعاصفةٍ نَسيتِ أن تهدأ

صرعى على بابِ الأساطير
...
لأحلامهم
جوائزُ الخذلان

# وهـي تتحـوّل إلى ملاك

إلى عبير

كما تحلُّ العَتَمَةُ فجأةً
هبطَ مطرُ آذار
...

في الخارج
الحديقةُ تسهرُ بأشجارِ تينٍ راجفة.

هل أجعلُ أصابعي في أُذني،
كي لا أسمعَ نحيبَها؟
كيفَ مرَّت البارحة؟
بماذا فكَّر رجالُ المارينز
قبل أن يقتحموا عليها الدار
ماذا سيقولون للربِّ؟
...
ألم يكنِ البابُ موارباً؟

وماذا عن أنينِ أختٍ منتظرةٍ، وأبٍ يتعثَّر الرعبُ
على لسانه ويموت؟
ماذا عن سعال أمٍّ سقطَ النعاسُ من رأسها
وظلَّ واقفاً على الباب؟
ماذا عن أيديهم القويةِ وهي تُوثقُ يدَيكِ الطفلتَينِ إلى الخلف
ليفعلوا ما يفعلون؟
ماذا عن الصِّبيةِ في الغرفةِ المجاورة
مكوَّرينَ عند الزاوية؟

ماذا عن الـGC؟
باردةٌ وسريعةٌ أكثر مما ينبغي.
كم عصفوراً أطاحت به من رؤوسهم المغمضة
كم من الأحلام؟
وكيفَ سَرَتْ نيرانٌ كثيفةٌ بأضلاعِ البيتِ
وتنفَّسَ الفجرُ دخاناً ثقيلاً يتصاعدُ ببطءٍ من جلودكم؟
...

# طقوس العطش

I

أتسمحينَ لدهشتكِ أن تبزغَ
من النوافذِ المؤجَّلة؟
...

وفي أيِّ أصباح
- نُصلّي لها -
تخرجين؟

فلم يزل مجانينُكِ
يقبلونَ أجفانَهم بالصلاة
بعدما أودعوا شاطئَ الحُلمِ
قارورةً حبلى
بورقِ الاعتراف
...

تجمَّدتْ أحداقُهم
وهم يَرقُبونَ شَتاتَها في المدى
...

في عنقِ الزجاجةِ
تحشرجُ دموعُهم

II

تتساهُم مواعيدُكِ
تُهملُهُمُ الشُّرفات

كم نقشوا أرضَكِ
بعطشِ الانتظار؟

III

غزيرٌ سكوتُكِ بينهم
...
الواهبونَ
خلاصةَ العمرِ، زهرةَ الوجود

يُشعلون مصابيحَ الحُلمِ
يتدفَّؤون بالنسيان

يُبلِّلونَ أصواتَهم بمائكِ

فهل تذكرينَ أسماءهم
أيتها اللائذةُ بالهروب؟

# دهشتي كلُّها

تعتمرينَ قبَّعةَ الفرح
تأخذينَ من الشمسِ أساورَها
على بابِكِ، أُوقفُ السطورَ والأزاميلَ
خَضِلٌ قلبُكِ، يا سيِّدةَ النهارات

لكِ...
لقوادمِ الأيامِ
أُشرِعُ نافذةَ الانتظار.

...

لأني غائرٌ بسحنةِ الخجل
صحتُ بأملي: لا تنكسر،
أجلستُهُ على دكَّةِ المخذولين
وقلتُ له: انتظرْ،
ستحطُّ على شُرفاتِنا فواختُ الأفراح

...

سأدعُ عندكِ دهشتي كلَّها

وأمضي...

مخترعاً لجمالكِ اسماً

لوقوفكِ جبلاً

أُعلِّلهُ بماء ليس من المعصرات

وأسطِّرُك حُلماً، حُلماً

لا تُخيفني الأيامُ ولا الليالي

وأراهنُ على أنكِ آخرُ كِسَرِ الصبر

وأنكِ ستأتين.

ربّما ستأتين.

# فظلَّت المرآةُ باردةً

كالجمرِ هو الغروبُ هنا
وقفتُ في منتصفِ الطريق
على صدري
بقايا زفيرِكِ قبل أن تُعيريني للأسى
وفي يدي
لبقايا يدَيكِ، حنين.
...

طويلٌ هو الليل
مع صورتكِ المبلَّلة بفضّتي
ها قد خانتني عيناي مرَّةً ثانيةً
فظلَّت المرآةُ باردةً
لن أُطيلَ شكواي وأنتِ غائبة
فربّما اقتنصتْ عيناكِ الآن
حلماً أزرقَ ونمتِ.

# صـورة فـوتـوغـراف

هل ورَّطتُ الندى حين قارنتُ بينكما ذاتَ غربة؟
وهل بغيركِ يلوذُ فَراشُ البرّية؟

وحيدةً أمضت ليلتَها شجرةُ الآس
وأصص الدفلى.

لم تتركي شيئاً لعصافيرِ الشُّرفةِ الصيفية.

وكما لا أشتهي
يُشاركني فطوري الأسى.

أُتوِّجُكِ بالحنين
فتتوِّجينني بالغياب.

أفتحُ قميصي، علَّهُ يهرب
النرجسُ الذي تزرعينَه على صدري

وحتّى أُغيظ اشتياقي
لا أبتدئُ نهاري إلاّ بصورركِ الفوتغراف

أتذكَّرُ الآن
نظراتكِ المرتبكةِ وأنتِ ترقبينَ تأخُّري كلَّ مساء
يدَيكِ، مضرَّجتَينِ بالندى
التماعةَ عينَيكِ الناعستَينِ وأنتِ تحتفين بي.

كم سألتكِ حينها:
من وشى للعصافيرِ بمكانكِ؟
من هرَّبَ قوسَ قزحٍ ليرتمي شريطاً بين خصلاتك؟

ومن أين جاءت كلُّ هذه الفراشات؟

# إذ تعكس الشمسُ أحمرَ شفاهك...

فيما يذيعون عن فِرَقٍ تتناحرُ وبيارقَ تهتزُّ بوعودٍ مفزعة. تبدو المروجُ ممتدّة كالمَدى، وتبدين زاهرةً هذا النهار.
لنَعْدُ خلف سعاداتنا، بين القصباتِ النحيفةِ، الخجولةِ لكن الطيّبة.
لا بدَّ للسماءِ أن تفرشَ غيوماً حانية، وتمدَّ يداً ودودةً تضحك بألوانٍ سبعة. لنَجرِ حدَّ الإعياء، ونخطَّ ذكرى في قلبِ الشجرةِ العجوزِ أعلى التلّة.
تُرى كم من العصافير على أصابعها الطويلة؟ وكم منها ترقصُ في عينَيك؟ سنغمرُ قمصانَنا بالعشب، نتيهُ عن الوقت، عن النهرِ الذي يفصلُ اتحادَنا، جوهرة تلتمع في تيه العدم.
ستصافحُ النسماتُ جديلتَكِ العابثةَ ولن تنقضيَ الساعاتُ إلا ونحن منهكون بين الحطباتِ والخرافِ الطيّبة.
اركضي وأنا خلفَكِ، وحاذري أن أُمسكَ بك.

...

لنذهبْ جهةَ الشاطئ، نحضن زرقتَه بأحداقنا، نكتري زورقاً ينتهي بقلبَينا المرتجفَين لأمواج تصخب. سنحيا كما نشاء اليوم.
كيف يقالُ الحب؟ أهمسُ، ... تُنصتين.
كم منكَ فيَّ؟ تهمسين، ... أُنصت.

ستكلّمينني عن أقراطكِ الطويلة، عن الأبِ الصارم، وإدمانكِ القهوة.
سأطلبُ لروحكِ نهاراً هانئاً،
نهاراً دون بيارقَ ووعود.
سيُجافينا المللُ. ولن أسألَ عن يدَيكِ الملتبستَينِ كالفجر.

# كما تدخل شارعاً بالخطأ

ليست لي
هذه المكتنزةُ بالمسرَّةِ
شفيفةُ البسمةِ
محتالةُ اللفتات

ليست لي إذاً،
هذه الضحكةُ خلفَ البابِ
همسُ العناق
وغوايةُ الخدر

...
....

حسناً لأفتحِ النافذة
فثمةَ مطرٌ خفيفٌ يهبط
ثمة ريحٌ تسفو بقايا العابرين

...

ثمة يومٌ جديد

# رسالة ستضلُّ عنوانَها أيضاً...

1

أتذكَّر الآنَ بلحظة شاردةٍ هبطتْ عليَّ فجأة، أتذكَّرُ وجهَها المتبتلَّ ورائحةَ عناقنا الأخير، صبرَها على تأخُّري الدائم في إيفاءِ العهود، تلك التي تصبُّ الحياةَ مركَّزةً في فمي، بعد أن تصَفِّيها شيئاً فشيئاً عبرَ قلبِها المرتعشِ بحيرته. راسمةً - مهما حدث - ابتسامةَ قدِّيس.

2

أتذكَّر أني سألتُها مرّة، إن كنّا سنصل! كان السؤالُ يتيهُ مرتبكاً بين لفحاتِ هواءِ رطب يبلِّلُ أرضَ الغرفةِ والجدرانَ السميكة، كان السؤال ثقيلاً بالمرّة، وكانت تتجاهله بما لها من عينَي طفلٍ ورائحةِ ملاك، مشغولةً بستائرِ النافذةِ وترتيبِ قطعِ الأثاثِ القديم. كانتِ الأشياءُ حولَنا تتماوجُ بين حضورٍ وغياب. رزمةُ الكتب، أشرطةُ الدواء، كوبُ القهوةِ البائتُ وبضعُ أوراق نقدية تالفة. وحدَها كانت تمنحُ الأشياءَ لونَها ومعناها العتيق. وتُبدِّد عبثَ الوقتِ وبلاهتِه.

رغم ذلك، لم نَحظَ بإجابة قط.

## 3

وكورقة خضراءَ في حديقة، قريبة، وبعيدة كسحابة.

صرتُ مجذافاً كلّما صارت زورقاً، وشارعاً كلّما ازدحمتْ بالآخرين.

وليس كأيّة امرأة، كانت تُجيد القول:

- الأمنيةُ... عذابُ الروح.

- الألمُ أخرسُ ولا يحُسِن النطق.

كنتُ أُدوِّن ما تهمسُ...، تدوينَ ملاكٍ يُصارعُ جحيمَه الخاصّة، مثقلاً بذنوبِ غفلته، كنتُ أرقبُها تنوءُ بجرحها القديم، مخُفيةً - ما استطاعت - حبّات من دمعها الأسود، ينزلُ سريعاً، فتخذلُها المناديل.

لم أخبرها أنها المرّة الأخيرة التي ستراني فيها، ما تجرّأتُ أن أطعنَها برحيلي إلا وأنا محتدمٌ فيه.

## 4

تركتُ عند بريدها الالكتروني رسالةً أخيرة:

«لكِ أن تعيشي كما ترغبين

...

ولي أن أحلم»

كانت رسالةً ضائعة، مثل التي أكتبها الآن.

# أوزار المعنى

الآخرون، وحدَهم
من يجعلوننا نكبر
هم أيضاً، بإمكانهم
أن يدعونا صغاراً
إلى الأبد.

## افتراضات

.

يترسَّبُ همّي
ضباباً أسودَ
فيقلُّ في رئتي، بياضُ الفرحة

..

المطرُ يبكي...
يغسلُ دمَ الضحايا
العالقَ في هوائنا؟

...

الجدار،
لا ثقبَ فيه
ولا أملَ... في ثقبٍ يظهر!

....

جسدٌ الفرحُ
والحزنُ... روحٌ

.....

الغيمة،
كم تعذِّبني
إذ تمنعُ عني زرقةَ السماء

......

النهرُ
دمعةٌ تجري على خدِّ الأرض

........

الفقدُ، الألمُ، الحربُ، الخذلان، ...
الأشياءُ، موجودةٌ بقدر افتراضنا لها

# فاختات تطردُ النحس

بلا يأسٍ
تُخطِّطُ الفاختاتُ السماءَ الكئيبةَ
وتمضي،
تمنحُ الريحَ أسرارَها
وتتركُ الريشَ للنوافذ
وللفجرِ هديلَها المتصل

من دون أن تدري
تصنعُ للصبيِّ ذاكرةً
للأعشاشِ دفئَها
للبهجةِ... أن تكون.

هذه الأسرابُ المتناثرة
على شُرَفِ الصبايا النواعس
على نوافذِ المسعولينَ
وأبوابِ الأَولياءِ
والقِبابِ المذهَّبةِ العالية
لم تزل تُرتِّقُ أحلامَنا المشروخة بالخيبة

وكما يرجعُ أبٌ في مسائهِ خائباً
كما يغافلُ صِبيةٌ أحلامَهم بأخطاء مبتورة
تغيبُ الفواخت في العاصفة

وعندما تشحبُ أيامُنا صبيةً كادحين
تفركُ نعاسَ الزقاقِ بخفقِها
تُبارِكُ الفجرَ لهم
والطعام.

لها ودُّنا
لا يُنقصُهُ دمعُ الراحلينَ دون سبب.

# الـرويـشـد(×)

أيكونُ النهرُ أقربَ من أيِّ يومٍ مضى؟
وتكونُ لي برودتُهُ كلُّها
وأمنحُهُ الرجفةَ.

النهرُ البنّي
يشفُّ عند أقدامِ النسوةِ المعتمّاتِ بالمَلملِ الخشن
يتركُ للجرفِ محاراتٍ هادئةَ اللون
وأكداسَ طينٍ حرّي يجفّ
وبينما الزيزُ يشكو ويعتاش
تغفو الطحالبُ الخجولةُ بين شقوقِ المشاحيف.

...

...

خضراءُ خضراء
عيونُ الرويشديات
وطويلةٌ هي النهاراتُ هنا

لكلابِهم ماؤها
وما يكفيها من النباح
وللطينِ السيادةُ والخلودُ

الفلاّحُ المدخِّنُ
يرمقُ صغارَهُ بالرضا
أولئك،
أخلاء الطين
بشعورهِم الشقراء المشعَّثة
وجلودِهم العارية.

...
طويلةٌ النهارات
خضراءُ عيونُ المارّة.

---

(×) الرويشد: قرية تقع على ضفاف دجلة في قضاء علي الغربي.

# فَـرَاشٌ يـأتـي

باللمسات الندية سنوقظُهم
بصوتٍ تُبَلِّله الرحمة
ووجهٍ تغارُ منه الملائكة.
سنشتري لهم الحلوى
والكثيرَ من اللُّعَبِ المدهشة.
لن يضطرّوا إلى انتظار العيد
كي يركبوا الهواءَ ويصافحوا المدى بأراجيحهم
وستسعدُ بهم غرفتُنا الوحيدة
ومصباحُها الخافت.

ما شاؤوا من سهرٍ سنمنحُهم
وما شاؤوا من اخضرارِ السنين.
سَنَدسُّ في وسائدِهم الآس
كي يكبروا كالفَرَاشِ المتوَّج
لا معاطفَ لأكتافهم سوى القبلات
ولا أسرَّةَ غير أحضاننا المُجهدة

ستكون لهم شمائلُ الجنوب
رائحةُ الطيب،
وثوبُ العافية
سيملؤون كراريسَهم بالياسمين
لا مدافعَ ولا فوّهاتِ بنادق

لن تطأهم الفجيعة
ولن تمسَّهم شمسُ الخسارات

لهم أسماؤنا
ولنا منهم، معنى أن نكون

آه كم أحبّهم،
أطفالنا الذين سيأتون...

# كـلاكـيـت

هكذا، ومثل كل مرّة،
أخطُّكَ صليباً
أُعلِّقُ بأكتافه أيامي المشنوقة.

## ما يتركه المارّةُ، مسرعينَ

أتأمَّل أمّي تصنعُ خبزَها بتنُّورِ فزعنا.
أتأمَّل أبي، يُسنِدُ بيتَنا لئلا يشيخ.
أتأمَّل ابنتي تثقلني وترفعُ عنّي
أتأمَّل مروحةَ السقفِ ساكنةً منذ البارحة
أتأمَّل يومي وهو يمرّ
أتأمَّل الخديعةَ والخيانةَ والخسارة
أتأمَّل الساعةَ قاسيةً، لا تنتظر.

أتأمَّل نفسي وأنا أتأمَّل.

# أمنية

كم تمنيتُ، وأنا أُسلّم نفسي كل ليلة إلى تمرينِ الموتِ،
ألا أستيقظَ ثانية.

# أوان

لا تملَّ أو تغضبْ أو تكتئب

لا وقتَ حتى لذلك،

وانظرْ إلى كلِّ ما يُلمَس حولك، تَشرَّبْ فيه جيّداً

قبلَ أن يتلاشى

قبل أن يتحوّلَ/ تتحولَ إلى محضِ ذكرى.

# الباكي الوحيد

البحرُ، ما جاءَ بكلِّ الجمرِ النابتِ في الهواء
ولم يفتحِ الأبوابَ للأحياءِ والموتى
ليمرّوا إلى رصيفِ الضوءِ ببطء

كلُّ الحتوفِ التي خطرتْ على بالِك قبل هذا اليوم
كانت محضَ لُعبة
لا ليل سيُفزعك أكثر بعد الآن
ولا نهارات تهدِّئ من روعك
لا سلالم توصلك أعلى مما وصلت
ولا شيطان سيشدُّكَ إلى قلب الارض

أيقنتُ أنكَ خاسرُنا الأكثرُ ربحاً
وضائعُنا الأشدُّ وصولاً
وأسيرُنا الأنصعُ حرّيةً

أيقنتُ
أن حيواناتكَ أليفة
أن جياعَكَ عبادٌ فشلةٌ

وأنك الباكي الوحيد
كلما أغلقتُ البابَ على أحياءٍ وموتى تناهبهم الجمرات.

# المحتويات

أيكـون الـنهرُ أقرب من أيِّ يومٍ مضـى؟
وتكـون لي برودتُه كـلّها
وأمـنحُـهُ الرجـفةَ.

النهر البنّي
يشـفُّ عند أقدام النسوة المعتمّاتِ بالمَلمـلِ الخشـن
يترك للجرف محاراتٍ هادئةَ اللون
وأكداسَ طينٍ حرّي يجفّ
وبينما الزيزُ يشكـو ويعتاش
تغفو الطحالبُ الخجولةُ بين شقوقِ المشاحيف.

...

...

خضراءُ خضراء
عيونُ الرويشديات
وطويلةٌ هي النهاراتُ هنا

لكلابِهم ماؤها
وما يكفيها من النباح
وللطينِ السيادةُ والخلودُ